

كتاب : رسالة الطيف
المؤلف : بهاء الدين الإربلي

نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخفيف

يا خليلي من ذؤابة قيس ... في التصابي رياضة الأخلاق
مما أعرف به إخواني، جادتهم الأنواء، وصابتهم السماء، وحلت السحب بأنديتهم أفواه عز إليها، وأهراقت
ماء مدامعها بعقوقهم من مآقيها، وروض القطر دارهم وغرقها، واجد أي رسومهم ولا اخلقها، وأصفي
مشارعهم ولا رنقها، وملاً حياضهم بنمير الماء وأناقها.

من الكامل

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة قمي
حتى تبعث بمنازلهم أموات النبات، وتنشر رمم الأزهار الهامدات، وتكتسي من مطارف الروض الوشائع
المفوفة، والحبرات، وتجلي عرائس الربيع في ملابسها الفاخرة، وتحقق عيون النرجس الناظرة إلى وجنات
الورد الناظرة، فيبتسم نغم الأقاح وتميل قدود الأغصان من الارتياح، فتصفق الأنهار على الإيقاع، وتتمايل
الأزهار راقصة على السماع، وتشرب الحمائل من رضاب الطل سلافة عاصرها المعصرات، وساقياها العيون
الهاطلات، وتغرد خطباء الأطيبار على منابر الأغصان طرباً، فينشر الندى على الزهر لآلئاً وحبياً من الخفيف
فكان السماء تجلو عروساً ... وكانا من قطرها في نثار

وإن أضر ما على الإنسان في زمانه، أن يجري جواد نظره مرخياً من عنانه، فقد قيل كم نظرة أوجبت
حسرة وكانت حلوة فأعقبت عيشة مرة، وطالما أرخى امرؤ زمام طرفه، فعاد بوباله وحتفه، ولهذا أمر بغض
الأبصار ونهي عن إرسال النظر في كثير من الأخبار، وجاء شيء من ذلك في الأشعار قال شاعر الحماسة:

من الطويل

وكت متى أرسلت طرفك رائداً ... لقلبك يوماً أتعبتك الناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر
فصرح بأن من أرسل طرفه رائداً، كان إلى العنا والتعب قائداً، وغايته أن يرى ما لا يقدر على كثيرة ولا
يصبر عن يسيره، فأى حال أصعب من هذه الحال، وهل الرضى بما إلا نوع من الاختلال، قال السيد
الرضي: من الوافر

نظرتك نظرة بالخيف كانت ... جلاء العين مني بل قذاها

فاها كيف تجمعنا الليالي ... وآها من تفرقنا وآها

وقوله يدل على غرام سلبه القرار، ووجد اعدمه الاضطراب، فانه قنع لجلاء عينه بنظرة اختلسها سارقاً،

وعانى قذى واسماً إن كان كما يقول عاشقاً، وهنا يقول ما يفى الوصل بالصدود ولا يحتمل هذا البخل
لأجل ذلك الجود، ليس بسعد عن عامر عوض، ولا بنجد عن رامة بدل، نعم وكم أوقعت العيون القلوب
في الحبال، وكم بات المقتول بما لهجا بحب القاتل.

من البسيط

فبت أثم عينيها ومن عجب ... أني أقبل أسيافا سفكن دمي
وقد أجاد من قال، وأوضح هذه الحال: من الكامل
يا قلب عاشقه وسهم جفونه ... من الرم المقتول حب القاتل
ومن أشق الأمور، أنها تؤذي من الطرفين، وكثيرا ما دلت العين على العين، فألقت الناظر من المنظور في
الحين.

من الكامل

ومن العجائب أن عضوا واحدا ... هو منك سهم وهو مني مقتل
فله در هذا الشاعر، إذ عرف الأمر فشرحه، وكان مبهماً فعرفه، ومشكلاً فأوضحه، بل كان صعباً فدلله،
وحزنا فعبده، ومقفلاً ففتحه، ومن العجب أن أهل هذا الشأن، فعلوا غرراً، ونكبوا من الهوى خطراً،
ورضوا بان تذهب دماؤهم هدراً، وان لا جناية على المحبوب، ولو رمى محبه بالفوارق وحتى قال قائلهم، أن
أحداق الأطباء لا تؤخذ بالجرائر.

من الرجز

كيف تعرضت وأنت حازم ... يوم النقا لأعين الجآذر
أما علمت أن أحداق الأطباء الغيد لا يؤخذن بالجرائر
فهل هذا إلا قول من سلط على نفسه حكم الحب، ورضي بما لاحظ فيه لذي لب.

من الكامل

ما أنصفته يكون من أعدائها ... في زعمها وتكون من أحبابه
وموجب هذه المقدمة، أني خرجت في بعض أيامي متفرجاً، وعلى الرياضة الأنيقة معرجاً.

من الكامل

والطل ينثر في الرياض دموعه ... والزهر يضحك في خلال بكائه
وتخال أنفاس النسيم عليلة ... عجباً وتشفي الصب من برحائه

ولي طبيعة تصبو إلى زمن الربيع وتتشوف إلى النبات المريع، أجد من نفسي نشاطاً في أيامه، ويهيجني نشر
رنده وخزامة، وابتهج بيانه وعراره، وأطرب لدهمه وديناره، واستثنى رياه، ويشوقني محياه، ويروقي منظره
ومخبره، ويرق لي أصيله وسحره، ما تفتقت أكمامه، ألا تحرك وجد القلب وغرامه، ولا فتح نواره، إلا
وأضرم في الحشا ناره.

من البسيط

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النوروز في غلس الدجى ... أوائل ورد كن بالأمس نوما

ومن شجر رد الربيع لباسه ... عليه كما نشرت وشيا منمنما

أحل فأبدى للعيون بشاشه ... وكان قذى للعين إذ كان محرما

ولم يكن عندي إذ ذاك باعث غرام، وليس لي هم في غلامه أو غلام، لا سبيل علي لسلطان البطالة، ولا طريق علي قلبي لغزال ولو كان كالغزالة، اعجب من يهيم وجدا واستغرب متى شكا عاشق هجرا وصداء، وأفوق إلى توبة وجميل سهام كلام، وأسفه رأي قيس وعروة بن حزام، اعد ما نقل من أخبارهم زورا ومينا، وأستبعد من عقل أن يجلب لنفسه حيناً، فبينما أنا أروح مسرحا طرفي بين الرياض، وسارحا بطرفي في تلك الربا والغياض، إذ عن لي سرب نساء، كالظباء سوانح، وفي تلك الحدائق سوارح، تبدو عليهن روعة الجمال، وترى فيهن أبهة الجلال، فاتبعهن نظرة المرتاد، وأنسيت ما تجلب العين على الفؤاد،
القاضي الأرجاني.

من الطويل

تمتعنا يا ناظري بنظرة ... وأوردتما قلبي أمر الموارد

أعيني كفا عن فؤادي فإنه ... من البغي سعي اثنين في قتل واحد

فبدت إلي منهن فتاة، كأنها مهابة، تسفر عن وجه بديع الجمال، وتشني فتخجل الأغصان في الميل والاعتدال، بعيدة مهوى القرط، حوراء المدامع، شبيهة ما فوق اللثات، مضية ما تحت البراقع، ترنو بألحاظ ريم، وتبسم عن در نظيم، ابن الرومي.

من الكامل

نظرت فأقصدت الفؤاد بسهمها ... ثم انثت عنه فكاد يهيم

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت ... وقع السهام ونزعهن الميم

كان يحياها بدر داجية، أو شمس سماء مصحية، ولا يقال صاحية، قد حار فيه الجمال، وضرجه حركات الدلال.

من الخفيف

أبرزوها مثل تمادي ... بين خمس كواعب أتراب

وهي مكنونة تحير منها ... في أديم الخدين ماء الشباب

ثم قالوا: تحبها؟ قلت بمرأ ... عدد الرمل والحصى والتراب

من الكامل

يا ساليا قمر السما بجماله ... ألبستني في الحزن ثوب سمائه

أشعلت قلبي فارتمى بشرارة ... علقت بخلك فانظفت في مائه

وللشعراء في وصف الخال معان أنيقة ومقاصد رشيقة ملكوا منها واضح الجدد والطريقة، وأتوا بالسحر

الحلال على الحقيقة، قال ابن الساعاتي: من الكامل

ذو وجنة ما لاح مائل خالها ... بل لاح أسود مقلني في مائها
وقال: من الكامل

ما الخال نقطة نون صدغك إنما ... قلبي بجنبته حباك تلهفا

وقال الحاجري الاربلي: من مجزوء الخفيف

لك خال من فوق عرش عقيق قد استوى

بعث الصدغ مرسلا ... يأمر الناس بالهوى

وقال: من الطويل

عجبت لخال يعبد النار دائما ... بخدك لم يحرق بما وهو كافر

وأعجب منه أن صدغك مرسل ... يصدق في آياته وهو ساحر

فثبيت في أثرهن جوادي، وإنما تبعت فوادي، وقد شغلني الحب عن التقية، وقادني الوجد قوة المطية،

وأصبحت بعد ذلك الشمس، وملت عن التوحش إلى الإيناس، وهونت ما كنت استصعبه من لوم الناس،

وجريت في طلق الصبا، طلق الصبا، وذهبت في نيل البغية مذهبا مذهبا، وأنشدت عاذلي وقد هاجت

بلايلي..

من الطويل

ألا ليقل من شاء إنما ... يلام الفتى فيما استطاع من الأمر

قضى الله حب المالكية فاصطر ... عليه فقد تجري الأمور على قدر

فدنوت من ذلك السرب، وأنا ذاهل اللب، معنى بشواغل الحب، وقلت وقد عقل الهوى لساني، وقيد

الغرام جنائي، حيا الله هذه الوجوه النواضر، والخاصن التي هي شرك النفوس، وقيد النواظر، أما ترثون لقتيل

غرام، وأسير هيام، وحليف سقام، وصاحب دموع سجام، ومعنى قد عدم الجلد، وقارن الكمد، وملكت

العيون فؤاده، ونفت عن جفنه رقاده، ترك الوقار، وكان من أهله وسلب القرار، لذهاب عقله، يسامر

النجوم، ويساور المهموم، ويعاني حرق الغليل، ويعرض نفسه للهم العريض الطويل.

من الكامل

يبيت كما بات السليم مسهدا ... وفي قلبه نار يشب لها وقد

وقد هجر الخلان من غير ما قلبي ... وأفرده الهم المبرح والوجد

فانبرت من بينهن تلك الظبية الأدماء، والغادة الحوراء، واسطة العقد، وفريدته، ودمية القصر، وخريدته،

وقالت وأنت حيا الله دارك، ولا ابعده مزارك، وأكرم إيرادك، وأصدارك، ورفع قدرك، وأعلى منارك، ما

الذي جشمك هذه الخطا، وعلام وقفت موقفا كنت نعد الوقوف فيه من الخطا، ومثلك لا يعذر إذا آتى

غلطا، أو رام شططا، وكيف غررت بنفس كنت تصونها وأهنتها، وعهدي بك لا تمينها، وعلام أرخيت

رسنها، حتى جرت في ميدانها، وأعطيتها في طلق الخلاعة فاضل عنانها، كيف أنسيت الحكم التي كنت

نوردها، وهل صدقت بعوادي الهوى التي كنت تستبدها، أين مواعظك في كف النظر، وزواجرك في غض

البصر، فسقت إلى نفسك تعباً، وحملتها بالنظر إلينا على رغمتك نصيباً، أما علمت أن دم قتيل الهوى مباح،
وانه لا حرج على قاتله ولا جناح، وان ناره لا يطلب، وهامته لا تشرب، ألم يقل الشاعر من الرجز
يا مغمدا في القلب سيف لحظه ... الله من دم بغير نائر
ومن غرام ما له من أول ... فيك وليل ما له من آخر
وقال آخر وتروى للشافعي رضي الله عنه: من الطويل
خذوا بدمي ذاك الغزال فإنه ... رماني بسهمي مقتلته على عمد
ولا تقتلوه أنني أنا عبده ... وفي مذهبي لا يؤخذ الحر بالعبد

هل أجدى ذلك الخدر، حين أوقعك القدر، أما تعلم أن من غير إنسانا ابتلى بدائه، ومن حكم على الأفضية
فقد أزرى برأيه، فرايني معرفتها بالقديم والحديث، وأخذت أجاذبها أطراف الحديث، وقد علمت أنها
المقصودة بالكلام، المهديّة إلى حر الشوق والغرام، ومن القلوب على القلوب شواهد صادقة، والعين تعرف
من عيني محدثها صحة الموافقة، فقلت من تعين بهذه الأقوال، وإلى من الإشارة، بهذه الأحوال، ومن الخدر
الذي أتى من مأمته، والمغرر الذي ألبسه الغرام ثوب حزنه، فقالت اللهم غفراً الست الذي سارت في
الآفاق أخباره، وظهرت على صفحات الأيام آثاره، وتنقلت تنقل الشمس رسائله وأشعاره،؟. الست ذا
البيان الذي ينفث سحره في العقد، وصاحب اللالي المنظومة والدر البدر،؟. الست ذا الأشعار الناصعة،
والخطب الرائعة والنوادر الشائعة، والمعاني التي كل الأسماع إليها مصيخة ولها سامعة، والرسائل التي هي
لرسائل الأوائل قارعة، كم جريت في ميدان الأدب طلق العنان، وغبرت بمحاسنك في وجوه فضلاء الزمان،
وأيتت بالأوابد الفرائد، والغرر والقلائد والملح الشوارد والمقطعات والقصائد، طالما ففخرت الأسماع على
النواضر، وكم كتبت فما نوار الخمائيل النواضر، من الطويل
كتبت فلولا أن هذا محلل ... وذاك حرام قست خطك بالسحر
فوالله ما أدري أزهر خميلة ... بطرسك أم در يلوح على نحر
فإن كان زهراً فهو صنع سحابة ... وإن كان درا فهو من لجة البحر
فهل شعرك الشعري العبور، أم هل نترك النثرة أم المشور، أنت أنت في فضائلك التي لا تجاري، وآدابك
أدبك فلا تساجل ولا تباري.

من الكامل

في خطة من كل قلب شهوة ... حتى كان مدادة الأهواء
ولكل عين قرّة في قربه ... حتى كان مغيبة الأقداء
ألقي إليك الفصحاء بالمقاليد، وأقر لك البحري وعبد الحميد، والصاحب وابن العميد، وان شئت مزيد
صفة فسليني عن المزيد،

من مخبر الأعراب أبي بعدهم ... لا قيت رسطاليس والاسكندرا
ورأيت كل الفاضلين كأنما ... رد الإله زمانا وإلا عصرا
فسقوا لنا نسق الحساب مقدما ... وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرًا

فدهشت من فصاحة مقالها، وسحرتني بألفاظها وجمالها، وحررت فما أحررت جواباً، وقيدني العي فما افتتح خطاباً، وقلت كفاك الله عين الكمال، من أين لربات الحجال. شفاشق فحول الرجال، وأنى لهذه الشمس المضيئة حدة هذه القطنة والألمعية، وهل في قدرة هذه الغادة الظريفة الإتيان بهذه الألفاظ البليغة الشريفة، وخاطبتها ولي ذاهل، ووجدني مقيم وصبري راحل، وعندني من حبيها شغل شاغل، فقلت يا اخت الغزالة والغزال وثالثة الشمس والهلال، أفحمت لساني عن المقال وقطعت حجتي في الجدل، من الذي ينصب لمعارضة هذه الألفاظ، وبم اتقي سهام هذه اللحاظ، وكيف لقلبي يد بسحرين، ومن أين لي قوة بذين، من الطويل

ولما التقينا والنقا موعد لنا ... تعجب رائني الدر منا ولا قطة
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ... ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
ولهم في وصف الحديث فون ومعان كلها عيون. قال ابن الرومي: من الكامل
وحديثها السحر الحلال لو أنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يمل وإن هي أوجزت ... ود المحدث أنما لم توجز
شرك العقول وتزهة ما مثلها ... للمطمئن وعقله المستوفر
وقال ابن حمديس الصقلي.

ذات لفظ تجني بسمعك منه ... زهراً في الرياض نداه ظل
لا يمل الحديث منها معادا ... كانتشاق الهواء ليس يمل
وأنشدني السيد محي الدين محمد بن الطوزي الجعفري لنفسه: من البسيط
ومنطق كرضاب النحل مازجه ... مروق شابه بالمسك عاصره
جرى على السمع مثل الطيف خالسي ... وقام مستصحباً للقلب زائره
وما علمت لفكري في حلاوته ... أرق أوله أم راق آخره
وهكذا أشير إلى ما يعرض من المعاني أدنى إشارة، واقتصر على أخصر عبارة، فإن الإكثار داعية الملل، والأفسس بالطبع تحب الثقل في الأحوال، ولو أردت مقالاً لوجدت سبيلاً إلى المقال، فقالت وقد خفها وارد الخجل، وورد منها مواقع القبل، أمثلي يقع له بالشنان؟ أم تظن عقلي من عقول النسوان؟ ما قدر كلامي، ولو كان درا، ومبلغ بياني ولو استحال سحراً، عند من تدعن له جهابذة النقد، ويسلم إليه أهل الحل والعقد، ويقر له حتى الحسود، ويعترف بفضلته السيد والمسود، من الخفيف
وأرى الناس مجمعين على فضلك ما بين سيد ومسود
عرف العالمون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد

فقلت أقسم بقدرك الأهيف النضير، ووجهك البهي المنير، وطرفك الفاتن الفاتر، ولحظك الساجي الساحر، وقوامك الدابل الناضر، وورد خدك الجني، ودر ثغرك النقي، وخر ريقك الشهبي ورجس لحظك البابلي، وليل شعرك الدجوجي، على صبح جبينك المضي، وريقتك المعسولة، ودرر ثغرك التي هي بماء الحياة مطلولة، انك املح من شمس، وأفصح من قس، وأنور من بدر، واغزر من بحر، وأضوا من نهار، وأجرى

ألفاظ من صيب لا مدرار، قد أبتت في هذا المقال عن حقيقة السحر الحلال، ونطقت بما يحير أرباب العلوم، ويعجز فرسان المنثور والمنظوم، وجريت على الجدد، واستوليت على الأمد، وأفحمت فصحاء الرجال، ولديك يلقي البلغاء محاريق العصي والحبال، فأنت أنت في الجمال والكمال، وعذوبة الألفاظ وحلاوة الدلال، من السريع

هويتها كالبلدر في حسنها ... أخطأت بل أجهى من البلدر
كأنها الشمس ولكنها ... تبدو على غصن نقا نضر
فاقت على كل ملاح الورى ... وفاق في أوصافها شعري
في ثغرها در وفي لفظها ... در وفي نظمي وفي نثري
وفي معانيها وما قلته ... في وصفها ما شئت من سحر

فقلت دع وصفي بما لا يصدقه وهمي وحدسي، ولا يثبت علمه في خيالي وحسي، أعرف الناس بنفسي، وهلم لنعيدها جذعة. وقول في النسب الذي لأجله لزمنا هذه البقعة، فمعي من أترابي وصويجات شبابي من هن في غرارة التصابي، وكلهن ينتظرن إياي، وقد أضربهن لبثي، وطال عليهن مكثي، وهذا النهار قد ذهب غير القليل، والشمس قد جححت إلى الأصيل، ولم يبق سوى الرحيل، فابن عما في الضمير، وسل عن الفتيل والقمير، فشكوت إليها غلبة الهوى، وموجبات الجوى، والخوف من عادية النوى، فانصاعت متبسة، وعادت متكلمة، وقالت يا فديتك أترفع ذيلك قبل المخاض وتدعي السغب قبل الإنقاص، كيف تشكو الغرام وأوصابه، وتستمقر ذعافه وصابه، وتعدد الوجد والقلق، وتصف السهر والأرق، وتدعي مسامرة النجم ومساورة الهم، ومكابدة الغليل والسهر، سحابة الليل الطويل، حتى وصلت السهاد، وهجرت النوم وإنما كانت هذه المعرفة اليوم.

من الطويل

أشوقا ولما تمض بي غير ليلة ... فكيف إذا راح المطي بنا عشرا
وكيف تقدمت هذه الأسباب على مسبها وهو محال، أم كيف أردت خداعي، وطالما خدع النساء الرجال، قدرتك على هذا الشأن، ومعرفتك بعلم البيان، أجرت على لسانك الخلوب ما ليس له صورة في القلوب، فقلت قادرا وتلهو سادرا، لا ومن زين صبح الجين بليل الشعر، وغرس في عذب الرضاب صغار الدرر، وخلق أقمارا أرضية أجهى من الشمس وأحسن من القمر، وحمل العيون بالكحل، ونصب الحدود أغراضا لموقع القبل، وأجرى فيها ماء الحياء فانبت ورد الخجل، وأبدع في الجمع بين يواقيت الشفاه، ونرجس المقل، وأطلع في أغصان القدور رمان النهود، وأرسل وراود الشعور إلى الأرداف والخصور، وجعل الأسود الغلب فرائس نحور الحور، لست ممن يغتر بالأقوال المزخرفة، ولا ينخدع بالأسجاع المصنفة، حتى استعلم أخبارك، وأقص آثارك، وأسبر أحوالك، وأعلم ما عليك مما لك، وأرود مرادك، فأتحقق مرادك، وأسأل عما عندك فؤادك، فإذا استحكمت بك الهيام، وتمكن من قلبك الغرام، وأخبرت بما تعاني، وعرفت بالتجربة هذه المعاني، ونطق لسانك بما في قلبك، وظهرت شواهد الصدق على حبك، وشكوت مرارة الفراق،

وذقت بعده حلاوة التلاقي، وجربت ما قيل في سهر الليل وطوله، وثبات نجومه وبطء قهوله، فهنالك إلى الاختيار ولى الخيار، وعلى قدر ما يتضح الحال، أكايك بالمكيال، وميعادنا مثل اليوم بهذا المكان، وركضت إلى صواحبها ركض جواد الرهان فوقفت حائرا انظر إلى منيها واستخرج درر الدموع من أصداف أماليها،
من الطويل

وأصبحت من ليلي العداة كناظر ... مع الصبح في أعقاب نجم مغرب
وأنشدت ما هو شرح حالي، وقد تضاعف بلبالي، من الطويل
لاموا على زفراته فشكا جوى ... واستغرروا عبراته فبكى دما
ركب اللجاجة في الغرام فكلما ... عنفوا عليه اللوم زاد وصمما
ولقد درى أن التهتك لم يفد ... قيسا ولا نفع البكاء متمما
وهي تمشى وتلتفت، وقد سلبت القلب وما اكتفت فاذا كرتني شعرا كنت أنسيته دهرا، كشاجم.
من السريع

مستملح من كل أطرافه ... متحسن الإقبال والملفت
لو بيعت الدنيا ولذتما ... بساعة من وصله ما وقت
سلطت الألاحظ منه على ... جسمي فلو أودت به ما اكتفت
واستعذبت روعي هواه فما ... تصحو ولا تسلو ولو أتلفت
فما كان إلا بمقدار ما غبا عن عياني، حتى اظلم علي مكاني، واعتراي جنون، وفاض عن عيني عيون من
الكامل

ولقيت في حبك ما لم يلقه ... في حب ليلي قيسها المجنون
لكنني لم اتبع وحش الفلا ... كفعال قيس والمجنون فون
فقلت للغلام كان عبية أسراري. وجهينة أخباري، ويحك اقتص الأثر، وأوضح لي الخبر، واعرف الورد
والصدر، وعرفني أين الكناس. ومن الناس، انطلقت مهرولا وأنشدت مستغربا.
من المتقارب

نظرت المها على غرة ... فعابنت شمسا وبدرا منيرا
وشاهدت إذ نظرت وانثنت ... غزالا غريرا وغصنا نضيرا
وعدت إلى داري، كاسف البال، سيبى الحال، مغلوب الجلد والاصطبار، مسلوب القلب والقرار، لا أجد
أنسا بحاضر، ولا أهش لخليل ولا مسامر، من الطويل
إذا غبت لم اجزع لبعده مفارق ... سواك ولم أفرح بقرب مقيم
فيا ليتني أفديك من غربة النوى ... بكل خليل صادق وحميم

ومع الذي أجده من القلق التام وأجنة من الوجد والغرام، فأنا متطلع إلى عود الغلام: من الطويل
وإني إذا ما اشتقت ليلي وعزني ... إليها سلو أو تعذر مطمع

بعثت رسولي كي يراها فاجتلي ... سنا وجهها من وجه حين يرجع
وقيل في رسول الأحباب أشعارا أصفى من رائق الشراب، وارق من ماء المزن تحدر من متن السحاب،
وأنشدني المولى الصالح الأعظم علاء الدين صاحب، الديوان أعز الله نصره لنفسه أيام دعاه الهوى، قلبي
داعيه، وناداه الغرام فأجاب مناديه، أيام طلبنا في خدمته بالبيان والطيب، ونعمنا بلذة المييت فيما شئنا من
الطيب وجرينا في ميادين الصبا وركضنا إلى اللهو عنقا وخبيا من البسيط
أيامنا بالحمى حيتت أياما ... وزادك الله إجلالا وإعظاما
قد كنت بالأمس أحلاما بأنفسنا ... فما أصابك حتى صرت أحلاما
كانت لنا من عطيات الشباب فما ... دامت علينا ولا المعطى لها داما
وقال من الكامل

أعوام لهو كان ينسى طولها ... ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أردفت ... بجوى أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام
منازل كانت مراتع الغزلان، ومطالع الوجوه الحسان، ومسائح الضياء الأونس، ومسارح المها الكوانس،
ومطامح الأبصار، مطارح الإيراد والإصدار، وفواتح الملاذ والمسار، وبروج الكواكب الشوارق، ومجرى
الوادي ومجرى السوابق، وديار الأحباب وقرار النطف العذاب، ومجال الجذل والنشاط، ومجال اللهو
والانبساط، ومشارك الأنوار، ومنابت النوار، ومنازل الأقمار، ومحاسن الآثار، وصاحب الأذيال، ومناخ
الآمال، ومحط الرحال، ومصارع العشاق، وجوامع الرفاق فتركانها رغما، وفارقناها حتما، وعاد الزمان،
فيها حربا، وكان سلما.

من الكامل
يا دهر كم لك مثلها من غدرة ... ولأنت اجدر أن تخون وتغلدا
جار الأحبة في قضايا حبههم ... فغدوت اظلم في القضاء وأجورا
أحبابنا النائين هل من عودة ... يصفو بها من عيشنا ما كدرا
قد طال في طول البعاد تعللي ... بعسى وليت وهل يكون وهل ترى
إذا مر ذكرها بالبال، ارتسمت فيلوح الخيال، انشدها لسان الحال،: من الطويل
ودار ندامى عطلوها وأدجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الرقاق على الثرى ... وأضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي وجددت عهدا ... وأني على أمثال تلك لحاسب
تدار علينا الراح في عسجدية ... حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها ... مها تدرىها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلائس
وللشعراء في الوقوف على الديار، والتردد في الآثار والبكاء في الأطلال، وتذكر أيام الوصال، معان ترقص

لها الأسماع طربا، ويستشعر العشاق هما ونصبا اذكر لمعا من وشيها المرموق، وأعود إلى أبيات الخدم. قال
ذو الرمة: من الطويل

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ... ولازال منهلا بجرعائك القطر
وقال أبو تمام:

وقهوا علي اللوم حتى خيلوا ... إن الوقوف على الديار حرام
لا مر يوم واحد إلا وفي ... أحشائه لخلتيك غمام
وقال البحتري: من الطويل

رأى البرق مجتازا فصار بلا لب ... وأصباه من ذكر البخيلة ما يصبي
وقد عاج في أطلالها غير ممسك ... لدمع، ولا مصغ إلى عدل الركب
قال السيد الرضي: من الكامل

ولقد وقتت على منازلهم ... وطلوعها بيد البلى فنب
فوقفت حتى ضح من لغب ... نضوي، وعج بعنلي الركب
وتلفت عيني، فمد خفيت ... عني الطلول تلفت القلب
وقد جاء السيد بما لا يرد حسنة، ولا يدفع، وغير في وجه من شكا وجع الليت والاخذع، وقال ابن
الاردخل.

من المنسرح

وقفت فيها وآي ارسمها ... محووة بالخول أحرفها
مكفكفا عبرتي وودي لو ... أني ابكي ولا اكفكفها
ماذا على الركب من أراقنتها ... هل هي إلا بلوى أخففها
وقلت: مجزوء البسيط

واستعدلي دمع السحاب فقد ... أفنيت دمعي على الرسوم الخوالي
واعد لي ذكر العقيق وأيام تقضت أيامه وليالي

فطلابي رجوع ما فات من ... عصر الصبي والشباب عين الخال
وسؤالي رسما محيلا ونؤيا ... عاطلا من تعللات الضلال

فانظر إلى الهر وتنقله، واعجب من تغير كل حال وتبدله، وثق بمن لا يحول ولا يزول ولنرجع إلى أبيات
المخدوم في وصف الرسول، جاءت إليه امرأة من الترك، قد نظمت معاني الجمال في سلك.

من الطويل

أبادية الأعراب عني فإنني ... بحاضرة الأتراك نيطت علائقي
واهلك يا نجل العيون فإنني ... جنتت بهذا الناظر المتضايق

كان القمر وهبها جماله والغصن منحها لينه واعتداله، وكانت رسولا من حبيته الحاكمة على مهجته

فاجتمعنا في الخلد من غربي دجلة، فأنشدني لنفسه.

من الطويل

كالصبح قد وافى رسولك فانجلي ... ليل الهموم وذاك فال ناطق

فعملت أنك لا محالة زائري ... أبدا رسول الشمس صبح صادق

وهو معنى أبداع فيه غاية الإبداع، وملاً بالصواب فيه خروق الأسماع، فجاء كما ترى كالنبر المسبوك،

وصدق: أن ملوك الكلام كلام الملوك، فعجب لحلاوة مقصده، وحسن مودته فأنشدته بديها: من الطويل

تعشقت رب الحسن لما رايتہ ... عيانا فجاهدت الهوى في سبيله

ومن حجبت عنه محاسن وجهه ... فغايتہ أن يهتدي برسوله

فجاء غاية في معناها، نهاية في صحة مغزاهما، وقال زهير المصري: من الطويل

رسول الرضى أهلا وسهلا ومرحبا ... حديثك ما أحلاه عندي وأطيبا

أيا محسنا قد جاء من عند محسن ... ويا طيبا أهدى من القول طيبا

ويا حاملا ممن احب رسالة ... عليك سلام الله ما هبت الصبا

وغلامي وان يكن رسولا يشبهه قليلا، وأنا اذكر الشيء عند ذكر مثله، أو ما هو مأخوذ من اصله، فبينما أنا

ارسب في الفكر وأعوام، واستدعي السكون والكرى، وكلاهما معدوم، إذا عاد الرائد، فقلت: أين الصلة يا

عائد، هل من جابية خبر، أم هل من دلالة على اثر، ابن حقيقة أمرك، ودلني على خبرك، وخبرك، أين

الحبيب خبر فعهدك به قريب واشف قلبا قد احسر به الوجيب، وجفنا أقرحه البكاء والنحيب، من الخفيف

من راني قبلت عين رسولي ... ظن أن الرسول جاء بسولي

إنما حين قال أبصرت مأمولك قبلت من رأى مأمولي أن عينا تأملت ذلك الوجه أحق العيون بالتقبيل قل ولا

تكنم فيلا ولا نقيرا، واعد حديثهم وزده تكريرا، من الطويل

اعد ذكر نعمان اعد أن ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع

فإن قر قلبي فاقمه وقل له ... بمن أنت بعد العامرية مولع

ولو أن هذا الدمع يجري صباية ... على غير ليلي قلت دمع مضيع

لقيت أمورا فيك لم اتق مثلها ... واعظم منها منك ما أتوقع

فقال: تبعتهن وهن يتمايلن هيفا ولينا، ويتلفن شمالا ويمينا، فنظهن أغصانا لدانا تقل أقمارا سافرة وطلباء

عينا من المتقارب

سترن الحاسن إلا العيون ... كما يشهد المعرك الدار عونا

سللن سيوفا ولاقينا ... فلا تسال اليوم ماذا لقينا

يمشين على تؤدي وسكون، وقد حبسن الأبصار وتمنطقن بالعيون، وقد أجاد أبو الطيب حيث قال: - من

الوافر

وخصر تثبت الأبصار فيه ... كان عليه من حدق نطاقا

وقال القاضي الارجاني: من الكامل

جاءت بقدر كالتضيق غدا ... بلوا حظ العشاق منتطقا
وبدت وقد أبدت محاسنها ... خمسا تبين عذر من عشقا
ليلا على صبح على قمر ... في غصن بان في كتيب نقا
ونواظرا مخلوقة فتنا ... قطعت على أبصارنا الطرفا
وبينهن سيدة قلبك، وخازنة حبك، وسالبة لبك، وصاحبة هواك. المخامر، وجالبة همك المسامر، وهي
تفوقهن جمالا وتلهوهن كمالا، وتفتن دلالا وتسي العقول ميلا واعتدالا.
البحثري: من الحفيف

أعطيت بسطة على الناس حتى ... هي صنف والحسن في الناس صنف
نعمة الغصن إن تأود عطف ... منه عن هزة تماسك عطف
فلم أزل اقصد آثارهن، وأبلو أخبارهن حتى وصلن دجلة، طما، وزخر وهما ماؤها، وهمر وطغى مدها،
وقهر ونهى السيل فيها وأمر، فكان الموج هضاب، أو ابل صعاب، أو قطع سحب، أو ليل صد واجتناب،
والسفن كأنها عقارب، وأذناها شائلة، وهي على مثل الصرح المذاب جائلة كما قال السري الرفاء
الموصلي: من الطويل

ولا وصل إلا أن أروح مغررا ... على ادهم من فوق اخضر مزبد
شوائل أذنا بيجيل أنها ... عقارب دبت فوق صرح ممرد
وقال البحتري، من الكامل
ورمت بنا سميت العراق ايانق ... سحم الحدود لغامهن الطحلب
من كل طائفة بخمس خوافق ... دعج كما دعر الظليم المهذب
وقلت:

ورب ليل غابت شوائبه ... والبر كالمشمس لاح في الأفق
كأنها جزعة يمانية ... تصقل درجا من ايض الورق
ركبت فيه سفينة تسبق البرق وهوج الرياح في طلق فقلت ويلك، خل علم البيان، وعرفني حقيقة الشأن،
قال، فجلسن على شاطئ دجلة متأسفات على الجسور متخوفات من العبور، حذرات من ركوب السفن،
في هذا التيار مشفقات من حوض ذلك الغمار دهشات من اضطرب. ذلك البحر الزخار، وأنا بحيث أراهم
واسمع نجواهم، عدي بن زيد الرقاع العاملي: من الكامل
وكأنها بين النساء أعارها ... عينيه احور من جاذر جاسم
وسنان اقصدته النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم
فقالت إحداهن: لو علمنا إنا ندفع إلى هذا الخطر، ونقدم على هذا الغرر، لما تحلحلت من ذلك المكان،
ولسلمت أمرنا الليلة التي تعنيك بالاسم واللقب، وتأتي من شكرك بالعجب، فهو يجب الضيف المفاجئ في
الليل الداجي، ويميل إلى الطارق في الجح الغاسق، فيهش مبتسما، وينشد مترنما: حاتم: من الرجز

أوقد فإن الليل ليل قر ... والريح يا واقد ربح صر
عسى يرى نارك من يمر ... إن جلبت ضيفا فأنت حر
هذا إلى أخلاق أجري من الزلال، وارق من نسيم الشمال. وأشعار كالسحر الحلال، وأخبار أطيب من
ذكر ليالي الوصال، البحتري: من الخفيف
من معان لو فصلتها القوافي ... هجنت شعر جرول وليبد
جزن مستعمل الكلام اختيارا ... وتجنبن ظلمة التعقيد
وركن اللفظ القريب فأدركن به غاية المرام البعيد فقالت منهن دواء داتك، ومهدية شفائك، والله لو يتنا
الليلة عنده، لأحييناها سمرًا وجدالا، وأحييناها أنسا ووصالا، ومنعنا به وأنعمنا بالآ، ولقطعناها ليلة انصر
من أيام الشباب، وأحلى من رضاب الأحباب، وفزنا بمفاكته، وشركناه في شرايه وفاكته، وجرينا معه في
فنون وعيون، واجمعنا بين ليلى وانجون، فقالت أخرى إن كان عزمكم صادقا، فلن تجددوا إلا موافقا، وأنا
رسولكم إليه، والقادمة بأخباركم عليه، فما اربحها من تجارة وأحلاها عنده من بشارة فأفوز بوده والثواب،
واحصل أجر الشهداء في الجمع بين الأحباب، من الخفيف
إن من بشر احب بوصل ... وسعى في اجتماعه بالحبيب
لجدير بكل حمد وشكر ... وثواب من المجازى المثيب
فقالت أخرى: بل المصلحة إن نغشاه من غير ميعاد، ونقصده وما أخذ في استعداد، فيتضح لنا حاله عند
مشاهدته، ونقرا في ضميره من أسرته، ويكون محبوبه البشير، ويطلع على ليل المهم قمر السرور المنير، أما
سمعتن من قال يصف هذه الحال: من المنسرح
افدي حبيبا مثل بدر الدجى ... من فوق لدن العقد مياد
صدوده يذكي غليل الجوى ... والوصل يروى غلة الصادي
رأى جنوبي وغرامي به ... فزارني من غير ميعاد

فقالت مصباح النواظر وراحة الأرواح والخواطر، وصقل الإفهام، ونهاية الأقدام، ودررة الغواص، وظيفية
القناص، وفتنة العام والخاص، اعلمن انه لا نجا له من الغرام، ولا شفاء من السقام، قد أسرته تلك
الإشارات، وقادته إلى الهوى آياته البيئات، كم أدعي الحماسة يوم الجلال، فغادرته تلك المقامات، مسلوب
الفؤاد، وحملته العين على تقتحم الخطر، وساقه إلى الصباغة الجمال المعتر، وملكته العيون، وسلبته السكون،
وانتم إخوان الصفاء، وذوات الوفاء، والظفر بمثله غنيمة باردة ونعمة زائدة، وإهمال أمره دليل على فساد
الرأي وأفنه، والاهتمام بما يحفظ وده صواب تفهم المصالح من ضمنه، وأنا أرى أنا متى زرناه استحكمت
وجده، وكمده وغلب صبره وجلده، والمصلحة أن تنفذ إليه من يعرفه. مواقع هذه المنة وبينه على قطف
ثمار الجنة، والنتفت كالظبي إذا رنا، والغصن إذا اتنى فرأني مستترا وأنا ارعد حذرا، فقالت: هلم يا غلام
واقر أستاذك السلام، وقل قد أظفرك حكم القدر المتاح، ونحن ضيوفك إلى الصباح، فهى جميع الأسباب،
وانظرنا عند الباب، وأحل الدار من الأغيار، واشكر معاونة الأقدار، وانشده عني وصرح ولا تكني: من

المنشرح

جاد بما تطلبه الدهر ... وزار في جنح الدجى البدر

أحوى رشيق القد فتانه ... يحجل منه الغصن النضر

في لفظه خم وفي ريقه ... خم وفي وجنته خم

فقلت: جعلت فداك، ومن أستاذي الذي ابغعه معنى هذا الكلام، ومن أنا من هذا الأنام، ومن الذي ابشره، وما البشارة، والى من وقعت هذه الإشارة، فقالت: ويك عد عن الإطالة، فما أنفذت إلا لهذه الحالة، فقد جاءكم ما لم يكن في الحساب، ولعن الله رزقا لا يدق الباب، وقد كنتم تقنعون من العين بالأثر، ومن العيان بالخبر، فدع موارد النزاع والصداع، فقد كشفنا عن القناع، وسارعنا إلى اللقاء مع اقرب العهد بالوداع، وانشده: من الخفيف كنت ترضى بالطيف إن عاود النوم جفونا كما زعمت قصارا فجرت بالذي تريد المقادير ووافاك من تحب وزارا فلم املك إعادة جواب، ولا إطالة خطاب، وقد سابقت إليك هوج الرياح، وأتيتك في الليل بشمس الصباح، فقم على قدميك، وتلق بالترحاب من قدم إليك، فهذا لم يكن ببالك، ولا تصور في خيالك، وانشد أبياتك الأمثال في وصفك هذه الحال: من السريع

أهلا وسهلا بك من مؤنس ... ينظر عن طرف الطلا النافر

أهلا وسهلا بك من زائر ... يحجل نور القمر الزاهر

أهلا وسهلا بك يا نزهه ... وراحة للقلب والناظر

رددت بالقرب من زمان الصبي ... وطيب عيشي السالف الغابر

وعيشة دلت على حاجز ... جاد الحيا السكب ربا حاجز

فكدت أطير فرحا ببحره السار، وقمت مرحا إلى باب الدار، وقلت رح إلى تلقي الضيف الكريم، وعد أمامه

على خط مستقيم، واختصر الطريق، وأحذر التعويق، فقلبي إلى قدومه مائل، ودمع الفرح على خدي

سائل، فمر يعد ووقفت أشدو: من المنسرح

إن تم ما جاء رسولي به ... غفرت ما أسلفه الدهر

وإن وفا الحب بميعاده ... وبات عندي ولي الأمر

سمحت بالنفس جزاء له ... إذ لا يؤدي حقه الشكر

وإنا في أثناء ذلك على مثل حر النار، من طول الترقب والانتظار، استنشق ربا الوصل من جهته، وأتطلع

إلى قدومه وأوبته، فإذا به قد عاد تاعسا، جده خائبا، قصده مغلولا حده، كايبا زنده، باديا وجومه، زائلة

همومه، متجهمة أسرته، نائية مسرته، قد عيس وجهه، واتجه عبوسه، وشمس غائبه، وغابت شمسوه، وخبت

نار نشاطه، وانقبض بعد انبساطه: من الطويل

وأدمعه تجري على صحن خده ... ونار الأسي تذكي بأضلعه جمرا

وقد صعدت أنفاسه عبراته ... فمقلته عبرى ومهجته حرى

فقلت إيه ما الخبر؟ وأين النجوم والقمر؟ وما فعل الشمس المشرقة الأنوار، ومتى يحصل اللقاء ويدنو المزار، وما هذا الوجوم الذي اعتراك، والهـم الذي أراك به على ما إدراك، فقال: خرجت من عندك جازما بالتوفيق، متحققا أني أراهن في الطريق، فوصلت المكان ولا خير، ولا عيان فنشدتكم والباضي يجب الوجدان فلم اطلع لمن على حقيقة أمر، ولا أخبرت عنهن بخلو ولا مر، فوقفت وقوف الشحيح أضاع خاتمته، وألفت محلهم فقرا، فكنت حاتمته، فبيننا إنا مفكر في الأمر الفادح والخطب الذي هو لنار الأسى قادح، إذ اجتاز علي صبي حين بقل عذاره، وكاد يصوح ورده وجلناره، فقال مالي أراك بادي الأسف، مشيفا على التلف فقلت أني أضللت هنا شيئا وجئت انشده، وتركت معهودا فحال عما كنت أعهدده، فتبسم الغلام تبسم ذي عجب، وقال قد عرفت الحال فدع الطلب، فأنا جهينة الخبر، عجب، ولن يجبرك عمن غاب إلا من حضر، فحين سمعت قوله لزمته ملازمة الغريم، وقلت: اهـدي هـديت إلى الصراط المستقيم، فقال إني حين رأيت تلك الشمس المضيئة والأقمار الأرضية، تبعتهن متفرجا على جماهن الباهر، وحسنهن الزاهي الزاهر، فلما جلسن في هذا الموضع، وقفت بمراى منهن ومسمع، فتفاوضن فيما أرسلنك فيه. وأطمعنك في الأمر الذي نبتغيه، ودعونك فسمعت وحدثك فرجعت فقلت من هذا السعيد الذي يقصدنه، وطوبى لمريض يعدنه، فلما غبت قمن مسرعات إلى العبور، وقلن لا بأس بالسفن مع تعذر الجسور، ودعون ملاحا، فركبن معه لجة الغمار، واقدمن بعد تأخرهن على تقنحم الأخطار، وقلن يا فتى إذا عاد هنا شخص من صفته كيت وكيت، فانشده عنا هـذين البيتين يرب البيت: من الرمل

أيها القانص ما أحسنت صيد الطيبات

فاتك السرب وما زودت غير الحسرات

وقل له إن تعرفونا، وتوهتم أن نخدعونا، فكايلاكم صاعا بصاع وجزييناكم عن خداع بخداع، والبادي اظلم، كما يقال، وان كنا نساء، فما نحب أن يقهرنا الرجال، ومثلنا لا يسمح كذا عاجلا بالوصول: من السريع

لا بد قبل الوصل من جفوة ... تذكى غليل الشوق والوجد

من لم يذق طعم الجفا لم يكـد ... يفرق بين الوصل والصد

وليس يدري لذة القرب من ... لم يشك يوما ألم البعد

معادنا ميعادنا، وعلى الله اعتمادنا، ثم امرن الملاح بالجذف، وصرن في الجانب الشرقي أسرع من رجـع الطرف، وقد عرفنك انك مخدوع، والأمر إليك في الرجوع، فلما وقفت على الجملة والتفصيل، وتحققت أنها سوفت بالأباطيل، عدت إليك بقلب كتيب، وصبر سليب، فحين فهمت مقالة عدمت الجلد والاصطبار، واستجدت الدموع الغزار، وعدت قلننا إلى الدار، وطل علي الليل فهو سنة، وما ألم بعيني نوم ولا سنة: من الطويل

وطال علي الليل حتى كأنه ... من الطول موصول به الهـر اجمع

وشرعت في مسامرة القمر، وقلت هل من عون على السهر، وأنشدت عند تراكم الهموم والفكر: من

الخفيف

أيها النائمون حولي أعينو ... بي على الليل حسبة واثجارا
حدثوني عن النهار حديثا ... وصفوه فقد نسيت النهارا
وخاطبت الليل الطويل، وقلت وقد لازمت العويل: من الرجز
يا ليل طل أو لا تطل ... لا بد لي أن أسهرك
لو بات عندي قمري ... ما بت أرعى قمرك
ولهم في طول الليل وقصره، وبعد ما بين عشائه وسحره، معان رائعة، وأوصاف ناصعة، وأولهم صفا،
وأغربهم وصفا، امرؤ القيس حيث يقول: من الطويل
فقلت له لما تغطي بصلبه ... وأردف إعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ... بصبح وما الإصباح فيك بأمثل
فيالك من ليل كان نجومه ... بكل مغار القتل شدت بيدل
كأن الثريا علقت في مصامها ... بأمراس كتان إلى صم جندل
فإنه أتى بالمعنى المبدع، وكان مخترعا فاحسن فيما اخترع، وقال النابغة: - من الطويل
كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل آفاسيه بطي الكواكب
وقال سويد بن أبي كاهل: - من الرمل
كلما قلت ظلام قد مضى ... عطف الأول منه ورجع
وقال بشار بن برد: من الطويل
خليلي ما بال الدجى لا يزحزح ... وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل النهار المستتير طريقه ... أم الدهر ليل كله ليس يبرح
وقال جحظة: من الوافر
وليل في كواكبه حوران ... فليس لطول مدته انقضاء
عدمت محاسن الإصباح فيه ... كان الصبح جود أو وفاء
وقال أبو هلال العسكري: من مخلع البسيط
عابوا فلم ادر ما ألقى ... مس من الوجد أو جنون
ليلي لا بيتغي حراكا ... كأنه أدهم حرون
وقال سيدوك: من البسيط
عهدي به ورداء الوصل يجمعنا ... والليل أطوله كاللمح بالبصر
فالان ليلى مذ بانوا فديتهم ... ليل الضرير فصبحي غير منتظر
الرصافي: من السريع
يا ليلة طالت على عاشق ... منتظر للصبح ميعاد
كادت تكون الحول في طولها ... إذا مضى أولها عادا

وفي ليلة مطيرة طويلة: من مخلع البسيط

أقول والليل في امتداد ... وادمع الغيث في انسفاح

أظن ليلى بغير شك ... قد بات يبكي على الصباح

فأما ما قالوه في قصر الليل وسرعة انصرافه، وقرب ما بين أطرافه. فهو من أوصاف ليالي الوصل، وعند اجتماع الشمل، واتصال الجبل، فان سمحت هذه الحبيبة بالتداني، ودنت ثمار وصلها من يد الجاني، وصفت الليل بقدر ما أجده في ليلة وصلها، وأما الآن، فأنا قانع إن نمت بحياها، وكيف يزور الطيف ساهرا، أم كيف يقر من يكابد وجدا ثائر، وقد أتى الشعراء في الطيف بالأوابد والقوائد، وجاءوا منه بما هو احسن من در القلائد في أجياد الخرائد، وأبو تمام والبحري، وان أجادا في هذا المضمنا، وكان لهما منزلة الاختراع والابتكار، فشعرهما يدل على طول نوم، واستغراق يوصل يوما بيوم، والبحري أشدهما نوما، وأنا أكثر لوما، قال أبو تمام: من البسيط

زار الخيال لها لا بل أزاركه ... فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم

ضبي تقنصته لما نصبت له ... في آخر الليل إشراكا من الحلم

وقال: من الخفيف

عادك الزور ليلة الرمل من رم ... لة بين الحمى وبين المطالي

نم، فما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال وقال: من الخفيف

الليالي أخفى بقلبي إذا ما ... جرحته النوى من الأيام

يا لها ليلة تزهدت الأرواح ... فيها ممراً من الأجسام

مجلس لم يكن لنا فيه عيب ... غير إنا في دعوة الأحلام

فهذا السيد قد ذكر انه قطع الليلة بالنوم، وأين هذا من مذهب القوم، وقال البحري: من الطويل

وإني وان ضنت علي بودها ... لارتاح منها للخيال المورق

يعز علي الواشين لو يعلمونها ... ليال لنا نردار فيها ونلنفي

فكم غلة للشوق أطفأت حرها ... بطيف متى يطرق دجى الليل يطرق

أضم عليه جفن عيني تعلقا ... به عند إجلاء النعاس المرقق

وقال: من الطويل

بلى وخيال من أثيلة كلما ... تأوهمت من وجد تعرض يطمع

إذا زورة فيه تقضت مع الكرى ... تبهت من وجد له أنفرع

ترى مقلتي ما لا ترى في لقائه ... وتسمع أذني رجع ما ليس تسمع

وقال:

ألمت بنا الهدو فسامت ... بوصل متى تطلبه في الجد تمنع

وما برحت حتى مضى الليل وانقضى ... وأعجلها داعي الصباح الملمع

ورب لقاء لم يؤمل وفرقة ... لأسماء لم تحذر ولم تتوقع

أراني لا انفك في كل ليلة ... تعاود فيها المالكية مضجعي
اسر بقرب من ملم مسلم ... وأشجى بين من حبيب مودع
من الطويل

إذا ما الكرى أهدى إلى خياله ... شفى قربه التبريح أو نقع الصدا
إذا انتزعت من يدي انتباهه ... عدت حبيبا راح مني أو غدا
ولم أر مثلينا ولا مثل شاننا ... نعذب أيقاظا ونعم هجدا
وقال من الطويل

وليلة هومنا مع العيس أرسلت ... بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشني ... بعطفي غزال بت وهنا أغازله
فانظر إلى تناسب ألفاظه، وحسن معانيها، واعتبر شدة النوم المودع فيها، وقال مهبّار: من الخفيف
في الطباء الغادين أمس غزال ... قال عنه ما لا يقول الخيال
لم يزل يخدع البصيرة حتى ... سرني ما يقول وهو محال
لأعدمت الأحلام كم نولتي ... من عزيز صعب عليه النوال
ولقد أبان عن نوم شديد من قال: من الطويل
وما ليلة في الهر ألا يزورني ... خيالك إلا ليلة لا أنامها

وقد سلم مهبّار مما وقعوا فيه حيث قال: من الطويل
وابعنوا أشباحكم لي في الكرى ... إن أذنتم لجفوني أن تناما
ولابن التعاويذي مزية على الأوائل والأواخر حيث قال: من الكامل
قالت أتقنع أن أزورك في الكرى ... وتبيت في حلم المنام ضجعي
وايك ما سمحت بطيف خيالها ... الا وقد ملكت علي هجوعي
أخذهما ابن التعاويذي من الغزال، شاعر من المغاربة قديم في قوله: من مجزوء الرمل

وسليمي ذات زهد ... في زهيد من وصال
كلما قلت صليبي ... حاسبني بالخيال
والكرى قد منعت ... مقلتي أخرى الليالي
وهي أدرى فلماذا ... عللتني بمحال
وقال آخر: من المبحث

رجوت طيف خيال ... وكيف لي بهجوع
فالذاريات جفوني ... والمرسلات دموعي
وقد ظرف القائل: من الرجز
طيف خيال هاجري ... ألم بي وما وقف

عاتيني على الكرى ... ثم نفاه وانصرف
وأشدني شمس الدين الواعظ الكوفي: من الخفيف
قل لمن نال حظه من رقاد ... جاعلا حجة لطيف الخيال
لو تيقظت جئت نحوك لكني ... أرسلت حين نمت مثالي
لو صدقت الهوى صدقت ولكن ... ما جراء المحال غير المحال
وأجاد مجد الدين محمد بن الظهير الحنفي الاربلي حيث قال: من الطويل
أحببنا ان فرق الدهر بيننا ... وحازكم من بعد قربكم البعد
فلا تبعثوا طيف الخيال مسلما ... فما لجفوني بالكرى بعدكم عهد
وقد ظرف القائل في خلاف ما قالوه: من الكامل
أتظن أنك عاشق ... وتيت بالحبوب حالم
الطيب أعشق منك ... إذ يسري إليه وأنت نائم
وما زلت أعاني القلق، وأكابد الأرق، حتى برق عمود الصباح، وأعلن الداعي بجي على الفلاح، وظهرت
تباشر النهار، وأن أذكر ما قيل في ذلك من الأشعار: قال علي بن الجهم من الكامل
كم قد تجهمني السرى وأزالني ... ليل ينوء بصدرة متناول
وهزرت أعناق المطي أسومها ... قصدا ويجبها السواد الشامل
حتى تولى الليل ثاني عطفه ... وكان آخره خضاب ناصل
وخرجت من أعجازه وكأنا ... يهتز في بردي رمح ذابل
وقال آخر: من الخفيف
رب ليل كالبحر هولا ... وكالدهر امتدادا وكالمداد سوادا
خضته والنجوم يوقدان حتى ... أطفأ الصبح ذلك الإيقاد
وقال آخر: من البسيط
كان بين هزيه نوى قدفا ... أو بعدما بين قلب الصب والجلد
كأنما فرقاه في اثلا قهما ... ياقوتتا ملك أو ناظر أسد
حتى تنبه فجر في خلال دجي ... كلنه مقلة زرقاء في رمد
وقال السيد ابن طباطبا العلوي: من الكامل
يا ليلة حليت بزهر نجومها ... وسهرت ما حتى بدت لي عاطلا
لم يرض ليلى إذ تجلى بدره ... حتى أراني فيه منك مخاتلا
وظفقت ارمق منه بلرا طالعا ... وظفقت اذكر منك بلرا أفلا
وقال ابن النبيه من البسيط
والليل تبدو الدراري في مجرته ... كالماء تطفو على روض أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده ... مخلق تملأ الدنيا بشائره

فلما متع ضوء النهار، وقفت في الانتظار، كلما أحسست نياة توجست، وكلما تذكرت الحبيبة تنفست:
من الطويل

أقضي نهارى بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والليل بالهم جامع

وقد ظرف القائل: من الرجز

طيف خيال هاجري ... ألم بي وما وقف

عاتني على الكرى ... ثم نفاه وانصرف

وأشدني شمس الدين الواعظ الكوفي: من الخفيف

قل لمن نال حظه من رقاد ... جاعلا حجة لطيف الخيال

لو تيقظت جئت نحوك لكني ... أرسلت حين نمت مثالي

لو صدقت الهوى صدقت ولكن ... ما جزاء المحال غير المحال

وأجاد مجد الدين محمد بن الظهير الحنفي الاربلي حيث قال: من الطويل

أحبابنا ان فرق الدهر بيننا ... وحازكم من بعد قربكم البعد

فلا تبعثوا طيف الخيال مسلما ... فما لجفوني بالكرى بعدكم عهد

وقد ظرف القائل في خلاف ما قالوه: من الكامل

أتظن أنك عاشق ... وتيتت بالحبوب حالم

الطيف أعشق منك ... إذ يسري إليه وأنت نائم

وما زلت أعاني القلق، وأكابد الأرق، حتى برق عمود الصباح، وأعلن الداعي بجي على الفلاح، وظهرت

تباشر النهار، وان اذكر ما قيل في ذلك من الأشعار: قال علي بن الجهم من الكامل

كم قد تجهمني السرى وأزالني ... ليل ينوء بصدوره متناول

وهزرت أعناق المطي أسومها ... قصدا ويحببها السواد الشامل

حتى تولى الليل ثاني عطفه ... وكان آخره خضاب ناصل

وخرجت من أعجازه وكأنا ... يهتز في بردي رمح ذابل

وقال آخر: من الخفيف

رب ليل كالبحر هولا ... وكالدهر امتدادا وكالمداد سوادا

خصته والنجوم يوقدان حتى ... أطفأ الصبح ذلك الإيقاد

وقال آخر: من البسيط

كان بين هزيه نوى قدفا ... أو بعدما بين قلب الصب والجلد

كأنا فرقداه في اتلاقيهما ... ياقوتتا ملك أو ناظر أسد

حتى تنبه فجر في خلال دجى ... كلنه مقلة زرقاء في رمد

وقال السيد ابن طباطبا العلوي: من الكامل

يا ليلة حليت بزهر نجومها ... وسهرت ما حتى بدت لي عاطلا
لم يرض ليلى إذ تجلى بدره ... حتى أراني فيه منك مخاتلا
وظفقت ارمق منه بدرا طالعا ... وطفقت اذكر منك بدرا أفلا
وقال ابن النبيه من البسيط
والليل تبدو الدراري في مجرته ... كالماء تطفو على روض أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده ... مخلق تملأ الدنيا بشائره
فلما متع ضوء النهار، وقفت في الانتظار، كلما أحسست نياة توجست، وكلما تذكرت الحبيبة تنفست:
من الطويل
أقضي نهارى بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والليل بالهم جامع
نهارى نهار الناس حتى إذا بدا ... لي الليل هزني إليك المضاجع
فأخذت أعلل نفسي بالمنى وأتوهمها كلما رأيت حسنا، وأنا أراها بعين الشمس والقمر وأتشاغل عن لماها
بالمدام، وأين الحجول من الغرر، مهيار: من الطويل
أراك بعين الشمس والبعد بيننا ... فاقنع تشبيها بها وتمثلا
وأذكر عذبا رضابك سائغا ... فما اشرب الصهباء إلا تعللا
وقال جحظة البرمكي: من المتقارب
إذا ما ظممت إلى ريقها ... جعلت المدامة منه بديلا
وأين المدامة من ريقها ... ولكن أعلل قلبا عليلا
ولهم في نعت ريق الحبيب، اوصاف تنذر بالطيب، مع اعترافهم أنهم لم يذوقوا له طعما، ولا عرفوه إلا وهما،
قال مهيار: من الرجز
وفي الحمول سمحة ضنينة ... تبذل وجهها وتصون ملمسا
سلسالها إن لم أكن أعرفه ... رشفا فقد وصفته تفرسا
وهو مأخوذ من قول شاعر الحماسة: من الطويل
بأطيب من فيها وما ذقت طعمه ... ولكنني فيما ترى العين فارس
وقد أحسن القائل ما شاء: من الطويل
كان على أنيابها الخمر شجه ... بماء الندى من آخر الليل غابق
وما ذقته إلا بعيني تفرسا ... كما شيم من أعلى السحابة بارق
وأجاد زهير في قوله: من الطويل
وقد شهد المسواك عندي بطيبه ... ولم أر عدلا وهو سكران يطفح
وقال الفقيه عمارة اليميني: من الطويل
شهدت يقينا أن مرآك جنة ... وقالوا وما ادري وريقك كوثر
وقال ابن هاني المغربي: من الطويل

وما عذب المسواك إلا لأنه ... يقبلها دوني وإني لراغم
وقلت له صف لي جنا رشفاتها ... فالثمني فاها بما هو زاعم
وقال آخر من السريع:

من آل هارون تعشقتة ... يقتلني بالصد والتيه
قد أنزل السلوى على قلبه ... أقول والمن على فيه
وقال كمال الدين بن العديم: من الطويل

فواعجا من ريقها وهو طاهر ... حلال وقد أمسى علي محرما
هو الخمر لكن أين للخمر طعمه ... ولذته مع أنني لم أذقيهما
وقال التهامي: من البسيط

لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها ... ما كان يزداد طيبا ساعة السحر
وأخذت منه فقلت: من الوافر

يزيد رضابه في الصبح طيبا ... لان الثغر منه جنى الأفاحي
وقال بعض العرب: من البسيط

يا أطيب الناس ريقا بعد هجعتها ... وأحسن الناس عينا حين تنتقب
وأصل هذا من قول امرئ القيس: من المتقارب
كان المدام وصوب الغمام ... ونشر الخزامى وريح القطر

يبيل به برد أنياها ... إذا غرد الطائر المستحر

فهذه معان تشخذ ظباة الخواطر، وتنبه على الوجد كل فاطر، وتخلج الرياض جادها صوب السحاب الماطر،
وما زلت على مثل هذه الحال، من الحرق واللبال، وقطع مسافة الأيام والليالي، وأنا على مثل حر المقالي،
إلى أن وقت الميعاد، وأطل يومه أو كاد، فبت في الليلة التي تسفر عن صباحه، وتتجلى بفرزه وأوضاحه،
أراقب النجوم وهي أنضاء أسفار، وأشاهد القلك وقد عطل المدار، وكأن النجوم مقل اعترها السهاد،
وجفاها الرقاد، فما تطرف لها جفون، ولا تطرق لها عيون، بل كأنها زهر روضة لا يصوح نباتها، أو كأنها
ثابتة مجمعة فلا يتغير ثباتها، ولا يرجى شتاتها، أيها نظرت إليه وجدته مقيما لا يرحل، ومستقرا لا يتحلحل،
كان سواد الليل حيرها فما تتمددي إلى مغربها، ولا تعرف وجه مذهبها، أضلها الظلام وأنضاه ليل التمام
فلم يحتج إلى أفول، ولا حدثت نفسها بقفول، كأنما فللكها قد أعيا أوأخذ البرطعيا، فتغير نظام دوراته،
وكلما ظن انه استقل عاد إلى مكانه، فبعدا لها من ليلة طال أمد عمرها، وأربت على حولها وشهرها،
وشكرا لها إذ كان يومها موعدا للوصل، وسلمنا إلى بلوغ الآمال، فلم أزل احببها وجدا وغراما وتميتني
تذكرا وهياما: من المنسرح

أحييتها والدموع تنجديني ... شؤونها والظلام ينجدها

إلى أن كاد الظلام يشف لونه، ويحمر جونه، وبدت أعلام الصباح منشورة، وطلعت رايات النهار منصورا،

وولي زنجي الليل وهو هزيم، وركض هاربا، وعقبه كلیم، وذو حاجب الغزالة مشرق الأنوار، وأجرت موج
سيل الذهب الذباب على الأقطار، وأسفرت ذكاء عن وجهها المنير، وألقت حمار الظلام عن عارضها
المستدير، وقد ذكرت بهذا الفصل شعرا مرموقا، يفوق درا منظوما، فمنه فائية ابن هاني الجامعة لهذه المعاني
التي أولها: من الطويل

أليتنا إذ أرسلت واردا وحفا ... وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا
وهي مشهورة بقائلها، فلا أتعب يائبا يدا ناقلها، فمن أرادها فقد دلته، ومن أنكرها فقد عرفته، وقال مجد
الدين محمد بن الظهير الحنفي: شاعر من بلدتنا الغراء، ومجيد من أعيان الشعراء، شعره، أجرى من الماء
تحدر من صيب، وأفعل في النفوس من ابن غمام زوج بابنه عنب، يمدح السعيد الشهيد تاج الدين أبا المعالي
محمد بن نصر بن الصلايا العلوي الحسيني سقى الله عهده سبل العهاد وروى ثراه بكل ملث الودق ذي
إبراق وإرعاد.

من الطويل

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ... ولا زال منها لبحر عاتك القطر
فلقد كانت أيامه مواسم المسرة، وأوقاته وقفا على المبرة فمضى محمود السجايا، طلاع الشايا، شريف
الخلايا والمآثر والمزايا، إذا اقتسمت غنائم الشرف، فله المربع منها والصفايا، إلى منقطع القرين، وفاق
عراة الأوسي في تلقى راية الجند باليمين.

من الطويل

أيا قبر معن كيف وارت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا
وأنفذ هذه الأبيات إليه من الشام على يد أخيه وأولها: من الخفيف
لو وجدنا إلى اللقاء سبيلا ... لشفينا بالقرب منكم عليلا
وسعينا على الرؤوس سراعا ... ورأينا في هواكم قليلا
قد سألنا القبول حمل التحيات، فيا ليتها أصابت قبولا. ويقول فيها:
وفلاة فليتها بأمون ... ملت البيد وخدها والذميلا

مثل ظهر المج لا يجد الخريت فيها إلى سبيلا
جبتها والظلام راهب ليل ... جاعل كل كوكب قنديلا
أو عظيم للزنج يقدم جيشا ... قد أعدوا أسنة ونصولا
وكان السماء روض أريض ... نوره بات بالندی مطولا
وكان النجوم در عقود ... عاد معقود سلكها محلولا
ليلة كالغدا لو لم يرعها ... باز فجر ما أوشكت أن تزولا
رق جلاب جنحها وبدا شقاه ... كما شارف الخضاب النصولا
وتولت وأشهب الصبح يتلو ... أدهم الليل وانيا مشكولا
وكان الصباح ميل لجين ... كاحل للظلام طرفا كحيفا

ما انتهت والسهاد حتى انتهى الصبر ورحنا من حمرة السهد ميلا
وثى النجم عن سراه عنانا ... مطلقا وانبرى النسيم عليلا
واجتلينا وجه النهار كوجه الصاحب الصدر مرتحي مأمولا
وتبعته أنا ققلت من أبيات في الخدوم الصاحب شمس الدين صاحب الديوان أعز الله نصره:

من الطويل

وليل غدافي الإهاب ارتديته ... وصحبي نشاوى من نعاس ومن لعب
كأن السماء اللازوردي مطرف ... وأنجمه فيه دنانير من ذهب
كأن سواد الليل زنج بدا لهم ... من الصبح ترك فاستكانوا إلى الهرب
كان ضياء الشمس وجه محمد ... إذا أمه الراجي فأعطاه ما طلب
فنهضت أسابق رجع الطرف، مسارعا إلى متن الطرف، واستصحت ذلك الغلام إلى موضع ميعاد بدر
التمام، فحين رأيت مسارح تلك الغادة المكسال وشممت من تلك التربة ارج مساحب الأذيال، أنشدت
ودموع العين أحنة في الالهمال: من الطويل

وحقك أن الجزع أضحي تراه ... عيبرا وكافورا وعيدانه رندا
وما ذاك إلا أن مشت بجنايه ... أميمة في سرب وجرت به بردا
وقريب منه قول النميري: من الطويل
تضوع مسكا بطن نعمان إن مشت ... به زينب في نسوة عطرات
يخمرن أطراف البنان من التقى ... ويخرجن جناح الليل معتجرات
وجادت العين بما هو أغزر من نوء العين، كفكفته تجلدا فوكف، وسمته وقوفا فما وقف، وأردت الإنكار
فاعترف، وصاب فكأنه من لجة البحر اعترف.

من الوافر

أرى آثارهم فأذوب شوق ... وأسكب في مواطنهم دموعي
وأسال من بفرقتهم رماني ... يمن علي منهم بالرجوع
وظفقت أجول في تلك العراض، وأطلب الخلاص، ولات جل مناص فألوم نفسي تارة وأعذرهما أخرى،
واستنصر يامداد الصبر وهي وانية حسرى، إلى أن كاد اليأس يغلب الأمل وامتداد الانتظار، حتى قلت إن
يومه بآخر الدهر قد اتصل، فإذا السراب قد عن وصدق الحبيب الظن، وذهب فن، واقبل فن وحصل جود
وتم من.

من البسيط

فقمتم أفرش خدي في الطريق له ... ذلا وأسحب أكمامي على الأثر
وجرت عند مشاهدة جمالها، وشغلني حسننها عن السلام عليها. وسؤالها، فوقفنا ذاهلا، وقد أصبح سحبان
يباني باقلا، فابتدرني بالتسليم، وابتسمت عن مثل الدر النظيم، وقالت كيف وجدت نفسك بعدنا، وهل

شكوت بعدنا أم هل عندك مما عندنا، وهلا أحسنت تلقينا من الصباة ما لقينا، وكيف دهشت حين قدمنا،
وهل علمت الجلد كما عدنا، وهل غلبك الهوى فلم يجز لسانك أم هل استوى عليك الوجد فسلب
بيانك، خبرني عن ضميرك، واشرح لي كنه أمورك، فأنشدت وقلبي طائر، ودمعي في المآقين حائر: من
الكامل

لم أنسه لما بدا متمايلا ... يهتز من لين الصبي ويقول
ماذا لقيت من الهوى فأجبه ... في قصتي طول وأنت ملول
فتبسمت عن مثل اللالي وقالت: اسمع ما قال الجمال ياقوت في وصف حالي الحالي: من الكامل
صدقتم في الوشاة وقد مضى ... في حبكم عمري وفي تكذيبها
وزعمتم أني مللت حديثكم ... من ذا يمل من الحياة وطيبها
أما نحن فأشواقنا إليك متزايدة، وأنفاسنا لبعذك متصعدة، ولينا بعدك طويل، ونومنا وقد غبت قليل، نتعلل
بلقاتك ونتعرض للنسيم، إذا هب تلقاتك: من البسيط
ما أظلمت ليلة والعين ساهرة ... يعتادها من نزاع نحوكم أرق
ألا تمنيت أن الريح لي نفس ... يسري إليكم وأن النجم لي حدق
وإيه كيف صبرك على فراقنا، وحالك بعد انطلاقنا، وهل ساعدك الجلد أم استولى عليك الكمد، وهل
ذقت منا ما هجرناه، أو عرفت قرارا أنكروناه. من المتقارب.
وحقك كدرت صفو الحياة وطيب الرقاد بهذا الصدود ولو نلت من زمني ما أريد لناديت يا ليلة الأنس
عودي وهد الجملة والتفصيل، والأولى الاختصار إذا لم يفد التطويل، فإن أنكرت أمرا، فسل قلبك فهو
عارف، أو استقلك دمعا، فشاهده دمعا الذارف، وقد حالك أيام البعاد، وتحققت كلما جرى فلا حاجة
إلى التعداد، ووقفت على الحقيقة، وحدث ما ظهر من تلك الطريقة، وقد كابتك الصباة، وما صرحت
ومعي من الصبر صباة، من الطويل.

ألفنا التجافي واطمأنت قلوبنا ... عليه وهذا آخر العهد بالصبر
فمر بما تريد واحكم المالك على العبيد، فحين سمعت كلامها، وفهمت نظامها، زاد غرامي اضعافا،
واستخفني الطرب استخفافا، وكدت أطيّر فرحنا وجدلا، ولو لم أتماسك لصرت مثلا: من الوافر
إذا الخبر استخفك من بعيد ... نثاه فكيف ظنك بالعيان

فقلت يا قرة العين الساهرة وقرار القلوب النافرة شفيت نفسا أشفت على التلف، ونعشت قلبا أودى به
وارد الأسف، وكفكفت دمعا ما منهته إلا وكف، ورفعت أملا كان في الحضيض فتال الشرف، وأحييت
روحا أماتما الجفاء، ولازمها المهم فعليها العفاء، فاستلركت ما بقي من ذمائها، وبقيت عليها فضل مائها،
وسقيتها فعلاذت مخضرة الأوراق، وأعديتها على دواعي الوجد وعوادي الفراق، من السريع
رأيت أن الوجد قد شفني ... وخانني في بعدك الصبر
فعدت بالحسنى على مغرم ... ذاب اشتياقا فلك الأجر

فقالنا خلنا من هذه الأقوال، فلك المنة في كل الأحوال، وعد إلى الدار.
وانظرونا وقت الاصفار فأنا الليلة لك ضيوف، وعليك عكوف، وخل هذا الغلام الذي بين يديك، ليكون
مع عوانا إليك دليلنا عليك، وحظنا في هذا أوفر ونصيبتنا منه أكثر، فاستعد لوصولنا، فنعم البديل نحن من
خيالنا فتوتقت منها بالعهود وراجعتها في الوفاء بالوعود، وأذكرتها تلك الخدعة، وأن لا تعيدها جذعة
فتبسمت عن واضحات كالدرر، ونظرت عن طرف وسنان ذي حور، وقالت تلك حال وهذه حال، ولم
يبق إلا اللقاء والوصول، ولقد ندمت على تلك الليلة التي ذهبت ضياعا، فقد كان الصواب أن تأتيك فيها
سراعا ولكن لا حيلة فيما مضى، ومن الذي أعطاه دهره الرضى، وقد أصحب الدهر الشامس وابتسم
الحظ العابس، وحضر الحبيب، وغاب الرقيب، وضحك العيش بعد القطوب، ولم تبق حاجة في نفس
يعقوب، فعدت إلى الدار، أخذنا في الاستعداد، جازما بموصول المراد فسألني بعض الأخوان، إذ رأى مسرعة
العهود مع قرب المسير، وشاهد الطلاقة على الأساير، فأنشدته الأبيات النوادر، التي أقر بحسنها كل ناظم
وناثر.

من الوافر

أجل عينيك في عينها تجدها ... مشربة جنى ورد الحدود
وصافحني تجد عبقا بكفي ... يضوع إليك من ردع النهود
وها سمعي إليك فإن فيه ... بقايا من حديث كالعقود
وعد عن القواد ففيه سر ... أضن به على الوجود
وقلت هذه جملة يطول شرحها، وليلة قد أسفر صبحها، واستدعيت المشروب والمشموم وهيأت الظاهر
والمكتوم، وأعددت المشور والمنظوم، وأحضرت أنواع الرياحين، وتفاءلت بالجمع بين الورد والياسمين،
ونضدت مجلسا للشراب، ومجمعا للأوطار والأطراب، وروقت سلافا أرق من الماء وأجرى من الهواء،
أحسن من الذهب، وأنور من اللهب، وأسلس من النسيم وأصفى من النسيم، وأشد إشراقا من الشم، كأنما
أفرغت في الزجاج من القلب، فحببت إلى النفس: من الخفيف
أفرغت في الزجاج من كل قلب ... فهي محبوبة إلى كل نفس
وقال آخر: من مخلع البسيط
لا ينزل الليل حيث حلت ... فدهر شراهما نهار
وقال آخر: من الطويل

ترى حيث ما كانت من البيت مشرقا ... وما لم تكن فيه من البيت مغربا
وقد أجاد الشعراء في وصف المدامة والنديم، وأبدعوا في نعت مجالس الشراب، فجاءوا باللفظ الرائع، والمعنى
السليم، وأنا أجري على عادتي في ذكر ما يخطر من ذلك بالبال، وأعود إلى شرح ما يتم لنا في ليلة
الوصول، لأبي نؤاس في نعت الشراب، الفضيلة على الأواخر والأوائل، وهو الذي إذا قال سكت كل
قائل، وقد اشتمل ديوانه من ذلك على الغرر. البدائع، والمعاني التي هي أعذب من جنا النحل. ممزوجا بماء
الوقائع والألقاظ التي اصحب له أبيها، وأطاعه عصيها، وانتالت عليه انثيالا، وثنت أعناقها إليه إرسالاً،

فحكّم فيها حكم العارف الخبير وأبرزها بحسن نظمه كالروض النضير، وأنا أذكر من أشعاره ما حضر، ومن أراد الزيادة فعليه بديوانه يستخرج منه الدرر، قال: من البسيط
قامت تريني، وأمر الليل مجتمع ... صبحا تولد بين الماء والعنب
كان صغرى وكبرى من فواقها ... حصباء در على ارض من ذهب
هذا التشبيه في غاية الحسن، وقد أخذ عليه في صغرى وكبرى، ما هو معلوم عند من رغب في جداله، وما هذه الرسالة مما تحتمل الخوض في هذا أو أمثاله، وقال: من الكامل
قال أبغني المصباح قلت له اتند ... حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها في الزجاج شربة ... كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها ... عطلا فألبسها المزاج وشاحا
عمرت يكاتمك الزمان حديثها ... حتى إذا بلغ السائمة باحا
وقال: من البسيط

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند ... واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأسا إذا انحدرت من كف شاربها ... أجدته حمرة في العين والحد
فاخمر يا قوتة والكأس لؤلؤة ... من كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من يدها خمرا ومن فمها ... خمرا فمالك من سكرين من بد
لي نشوتان وللندمان واحدة ... شيء خصصت به من بينهم وحدي
وقال: من الكامل

ومدامة تحيا النفوس بما ... جلت مآثرها عن الوصف
من كف ساقية مقرطقة ... ناهيك من أدب ومن ظرف
وقال: من الخفيف

عنقت في الدنان حتى استفادت ... نور شمس الضحى وبرد الظلال
ولعمر المدام إن قلت فيها ... إن فيها لموضعا للمقال
وقال: من الطويل

فطب بحديث عن نديم مساعد ... وساقية سن المراهق للحلم
ضعيف كر الطرف تحسب أنها ... قريبة عهد بالإفاقة من سقم
هذا هو الشعر الذي تستشعر به النفوس مسرة، ويلوح على وجه الأشعار غرة، وماذا عسى أن يقال في
شيخ الصناعة، وفارس البراعة، وقال: من المديد
يا شقيق النفس من حكم ... نمت عن ليلى، ولم أتم
وقد قيل أنها قيلت فيه، والذي قالها والبة بن الحباب والمشهور أنها له، يقول فيه:
عنقت حتى لو اتصلت ... بلسان ناطق وفم

لاحتببت في القوم مائلة ... ثم قصت قصة الأمم
قرعتها بالمزاج يد ... خلقت للكأس والقلم
في ندامى سادة زهر ... أخذوا اللذات عن أمم
فتمشتت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقم
فعلت في البيت إذ مزجت ... مثل فعل النار في الظلم
فاهدى ساري الظلام بما ... كاهتداء السفر بالعلم
وليكن هذا المقدار من شعره كافيًا في هذا المختصر، ولو أردت الإطالة، لأتيت بكل شعره، فكله غرر،
وقال ابن نباتة السعدي وأجاد.

من الطويل

نعمت بما يجلو علي كؤوسه ... أغر الثنايا واضح الجيد أحور
فوالله ما ادري أكانت مدامة ... من الكرم تجنى أم من الشمس تعصر
إذا صيها جنح الظلام وعبها ... رأيت رداء الليل يطوي وينشر
وقال ابن الجهم: قلت لجارية، نجعل الليلة مجلسنا في القمر، فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر، قلت
فأي الشراب أحب إليك.

قالت: ما ناسب روعي في الخفة ونكهتي في الطيب، وريقي في اللذة، ووجهي في الحسن وخلقي في
السلاسة.

وقال ديك الجن: من الطويل

فقام تكاد الكأس تخضب كفة ... وتحسبه من وجنتيه استعارها
مشمشة من كف ظبي كأنما ... تناولها من خده فأدارها
وقال آخر مجزوء الكامل

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

قال آخر: من الطويل

وحمراء قبل الزجاج صفراء بعده ... بدت بين ثوبي نرجس وشقاق
حكمت وجنة المعشوق صرفاً فساطوا ... عليها مزاجا فاكتسبت لون عاشق

وقال ابن دريد من الكامل

تقلت زجاجات أتتنا فرغا ... حتى إذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت أن تطير بما حوت ... وكذا الجسم تخف بالأرواح

وقال أبو عثمان الخالدي: من الخفيف

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها ... قهوة تترك الحليم سفيها

لست أدري من رقة وصفاء ... هي في كأسها أم الكأس فيها

وقال التوخي من المتقارب
وراح من الشمس مخلوقة ... بدت لك في قدح من نهار
هواء ولكنه جامد ... وماء ولكنه غير جاري
كأن المدير لها باليمين ... إذا قام للشرب أو باليسار
تدرع ثوبا من الياصمين ... له فرد كم من الجنار
وقيل وتروى ليزيد بن معاوية: من الطويل
وإني من لذات دهري لقانع ... بجلو حديث أو بمر عتيق
هما ما هما لم يبق شيء سواهما ... حديث صديق أو عتيق رحيق
وقال آخر: من الكامل

ومدامة حمراء في قارورة ... زرقاء تحملها يد بيضاء
فالراح شمس والحباب كواكب ... والكف قطب والإناء سماء
وقال محي الدين رحمه الله يصف مجلسا. من الكامل
في المجلس ظهرت سرائر حسنه ... وجلت بصائرنا وجوه سروره
فكأنه فلك السماء كؤوسه ... كشموسه وسقائه كبوره
وقال الحماني من الكامل

في مجلس جعل السرور جناحه ... ظلنا من طارق الحدثان
لا تسمع تصفيق الجليس ونقره ... وبكاء راووق وضحك قناني
وأنشدي محيي الدين رحمه الله من الخفيف
أنا في منزلي وقد وهب الله صديقا وقينة وعقارا
فابسطوا العذر في التأخر عنكم شغل الحلي أهله أن يعارا
فهذه أشعار روائع، ومعان نواصع، وألغاز حلوة المبادئ والمقاطع، وهذا المختصر لا يهتمل التطويل، وقد
يستغني عن الكثير بذكر القليل، فلما أنجزت كل الأمور وأعدت أسباب السرور، أخذت في الانتظار وقد
تفوضت خيام النهار وحال لون الشمس إلى الاصفرار، وخلعت لباس الورد، وارتدت بالبهار، أقبلت تيمس
كأنها غصن بان وترنو بعين ظبي وسنان.
من الكامل

تمشى قناة ثم تذكر قدها ... أن الشني للغصون فتني
فأضياء الأفق بنورها وسلبت الليلة لباس ديجورها، من الطويل
فوالله ما أدري أحلام نائم ... أملت بنا أم كان في الركب يوشع
وخلفت الشمس عند مغيبها، وزادت عليها بحسنها وطيبها، فتلقيتها بدمع أجراه الفرح والجدل، وأطلقه
السرور فسح وهمل، فقالت ما هذا البكاء، وقد واصل الحبيب وغاب الرقيب، وعالج الداء الطيب: من

الكامل

فأجبتة لما رأيته زائري ... وسمحت لي بعد النوى بتداني
طفح السرور علي حتى أنني ... من عظم ما قد سرتني أبكاني
فدخلت أمامها إلى الدار، ونعمت عينا بالجار، وشممت نشر درك الأمانى والإطار، واستقر بها المجلس
فأعجبها ترتيبه، وراقها لوجه وطيبه، وأخذنا في شاننا، واستطقنا ألسن عيداننا، وكدنا نظير ونحن في
مكاننا، ودارت كؤوس الراح ورشفنا شفاه الأقداح، فلما أخذت مأخذها من الهام، ودبت ديب البرء في
السقام، انبسطت وتم أنس، وتحرك ساكن، وصفا أجن، واجتمع أحباب، وجرت أسباب، وعطفت أجياد
على أجياد، وقرب فؤاد، وواصل محب حبيبته، وأمن عاذله ورقيبه. من الوافر
تأمل من خلال الشك فانظر ... بعينك ما شربت ومن سقاني
تجد شمس الضحى تسري بشمس ... إلي من الرحيق الخسرواني
وهصرت قدود، وجنيت حدود، وضمت نمود ورشفت ثغر برود، وقبلت شفاه وثلجور، وتمت أحوال
وأمر، واستحكم فرح وسرور، وأشرق على وجه الأنس نور، وخلع عذار ونبد وقار، وشربت عقار،
وطلب عند الهام ثار، وطافت كؤوس، وطابت نفوس، وجنيت غروس، وجلت عروس، وزال هم ويؤس،
وأدال دهر، وجرى نهر، وفتح زهر، وقرب وصل، وبعد هجر، وتدانى قلوب، وساعف محبوب، وحصل
مطلوب، وأصبح محبوب، وأنشد، ولي ذاهل، ونادى الأنس أهل: من الطويل
رعى الله ليلا ضمنا بعد فرقة ... وأدى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة ... من الراح فيما بيننا لم تسرب
وجربنا في ميدان الخلاعة، وبذلنا في طاعة الهوى جهد الاستطاعة، وعاصينا الوقار والنهي، وبلغنا كل قلب
ما اشتهى، وأعطينا النفوس أمانيتها، وسلمنا قوس التصابي إلى باريتها، وجنيت ثمار المعاني وحصلت على
المطالب والأمانى، وأنشدت أبيات أيزون العماني: من البسيط.
أفدي الذي زارني والليل معتكر ... والأفق مما اكتسى من عرفه عطر
فلم نزل نتجاري في العتاب معا ... أشكو إليه جفاه وهو يعتذر
حتى إذا ما اعتقنا واستتب لنا ... على إرادتنا عيش له خطر
ناديت يا ليل دم ليلا بلا سحر ... فقال ليلك هذا كله سحر
وذكرت في وصف الحال، والاستعانة بالليل على استمرار الوصال، قول من قال: من السريع
بتنا على حال نسوء العدى ... وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له ... إن غبت عنا دخل الصبح
وحششنا الطاس والكأس، ودبت الحميا في القدم والرأس، وتمشت في المطا والقوائم، وسرت سرى الكرى
في مقلة النائم، وأنشدت الأبيات النوادر، الدالة على قوة عارضة الشاعر، التي تجاري نسيم السحر لطفًا،
وتفوق نظم الدرر وصفا ووصفا.

من الكامل

عاطيته والليل يسحب ذيله ... صباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه ... وذؤابتاه هائل ي عانقي
حتى إذا مالت بمسنة الكرى ... زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه ... كيلا يبيت على فراش خافق

ولم أتبع الشاعر في شفقتة، ولا اختصرت شيئاً من العناق عملاً بطريقته، وذكرت قصر ليل الوصال،
فأخذت في الحين والأعوال.

وقد أطال الشعراء في وأجدوا فيما قصدوه منه ما أرادوا، وأنا أورد منه ما يليق بهذا المختصر، واذكر منه
ما حضر، وقد يستدل على الشجرة بالوحدة من الثمر، قال بعضهم من المنسرح

يا ليلة كاد من تقاصرهما ... يعثر فيها العشاء بالسحر

تطول في هجرنا وتقصر في الوصل فما نلتقي على قدر

وقال سيدوك من البسيط

عهدي بهم ورداء الوصل يجمعنا ... والليل أطوله كاللمح بالبصر

فاليوم ليلى وقد بانوا فديتهم ... ليل الضرير فصبحي غير منتظر

وقال آخر من البسيط.

الليل إن هجرت كالليل إن وصلت ... أشكو من الطول ما شكوا من القصر

وقال ابن التعاويذي: من الكامل

وأطلتم ليلى وكم من ليلة ... ذهبت بوصلكم كظل الطائر

وقال آخر، من الكامل

كل الليالي المصيات خلاعة ... تفدي نعيمك يا ليالي حاجر

ما كنت في اللذات إلا خلسة ... سمحت بها الأيام سمحة غادر

فحين بلغت إلى هذا المقام، وأتيت بما أتيت من النشر والنظام، رعدت راعدة، أيقظني من المنام، فانتبهت

ولا محبوبة، ولا مدام، ولا آس ولا خزام، فعجبت من قوة الخيال، واستمرار هذا الخال، وأنا أستغفر الله من

التجوز في المقال، وتحقيق هذه الحال، والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله خير آل، كتبها

ياقوت بن عبد الله بمدينة السلام، في العشر الأول من شعبان سنة أربع وسبعين وستمائة هجرية حامداً الله

تعالى على نعمه ومصليا على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين ومسلما تسليما كثيراً.